



قراءة في ظاهرة اليتيم في إفريقيا

د. فاطمة عمر العاقب

أستاذ مشارك، قسم العلوم السياسية - جامعة
الأزهرى - بالخرطوم

شهدت القارة الإفريقية منذ تكوين الدولة الحديثة حالةً من عدم الاستقرار السياسي والأمني والاجتماعي، قاد ذلك، مع مجموعة عوامل أخرى، إلى بروز «ظاهرة اليتيم» بشكلٍ مضطّر، خاصّة خلال الألفية الجديدة، حيث تحتضن القارة الإفريقية نسبةً كبيرةً من الأيتام في العالم. في هذا الصدد؛ تحاول هذه الورقة تناول ظاهرة الأيتام في إفريقيا، بدراسة تحليلية للأسباب والعوامل التي قادت إلى تفاقم هذه الظاهرة، ويجب التنويه إلى أن الورقة تستخدم الإحصائيات المتاحة للأيتام في القارة في العقد الحالي دون إصدارها، مع تبيان طبيعة عمل بعض المنظمات الأكثر فاعلية في كفالة الأيتام في إفريقيا.

تعريف اليتيم:

هناك عامل يكون أكثر تأثيراً من بقية العوامل الأخرى في زيادة الظاهرة وتطورها، فمثلاً في القارة الآسيوية تلعب العوامل الطبيعية دوراً كبيراً في تفاقم ظاهرة اليتيم، بيد أن الأمر يختلف عند دراسة الظاهرة في إفريقيا، لذلك تم اختيار: (العامل السياسي، والعامل الصحي)، وذلك لوضوح أثرهما، حيث تحاول الورقة التأكد من تأثير العاملين السياسي والصحي على أساس أنهما الأكثر تأثيراً من جهة، ومن جهة أخرى يدخل العامل السياسي كعامل مستقل يؤثر في العوامل الأخرى التي تدخل كعوامل تابعة، بيد أن التركيز سيقصر على الجانبين السياسي والصحي فقط، وذلك بحسبان أنهما الأكثر تأثيراً على هذه الظاهرة في القارة الإفريقية.

المحور الأول: دور العامل السياسي في تفاقم ظاهرة اليتيم في إفريقيا:

الأنظمة السياسية الإفريقية:

تعد الأنظمة السياسية في القارة الإفريقية من أهم الفواعل التي قادت إلى تزايد ظاهرة اليتيم في مجتمعات القارة الإفريقية، حيث إن حالة عدم الاستقرار السياسي تسود داخل النظام السياسي القومي، إضافة لحالة عدم الاستقرار الإقليمي، والتي تتضح في شكل الحروب الأهلية والإقليمية، والتي قدر نصيب إفريقيا منها في الفترة (١٩٤٥م-١٩٩٩م) بحوالي ٣١,٥٪. وفي العام ٢٠٠٢م قدرّت الحروب الأهلية بحوالي ثلاثين حرباً أهلية، وزاد العدد عن خمسين حرباً مع نهاية عام ٢٠١٦م، وتؤثر بشكل مباشر على شريحة الأطفال باليتيم والتشرد، وعلى سبيل المثال لا الحصر نورد الآتي:

أولاً: الحروب الأهلية في الفترة (١٩٨٧م-٢٠١٧م):

شهدت القارة عدة حروب أهلية، في عدد من الدول الإفريقية، منها على سبيل المثال:

- ١- الحرب الأهلية في السودان، ٢٠٠٩م، بلغت أعداد النازحين بحوالي ٤,٩ ملايين^(٤).

ورد في لسان العرب: «اليتيم فقدان الأب. وقال ابن السكيت اليتيم في الناس: من قبل الأب... ومن فقد الأم: منقطع. وقال أبو عمرو: اليتيم: الإبطاء، ومنه أخذ اليتيم؛ لأن البر يبطئ عنه»^(١)، وعليه يُطلق لفظ اليتيم كصفة على كل من فقد والده وهو ما زال جنيماً في بطن أمه، أو ما زال صغيراً ولم يصل لسن البلوغ، وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يتم بعد الاحتلام)^(٢). وبالنظر لتعريف اليتيم في المنظومة العالمية: تعرف اليونيسيف وشركاؤها اليتيم بأنه: «الطفل الذي فقد أحد والديه أو كليهما»^(٣).

بيد أن الشائع حالياً في الأدبيات هو تعريف اليتيم بأنه: من فقد أحد والديه أو كليهما، ولا يقتصر اليتيم عالمياً على فقد الأب كما هو سائد في الإسلام، ونجد أن الكثير من المنظمات الإسلامية الفاعلة في برنامج رعاية الأيتام في العالم تؤكد المنظور العالمي من خلال رعايتها للأيتام فاقد الأم، أو الأيتام في دول غير مسلمة.

وسوف نركز الورقة على الجانبين الإسلامي والعالمي في تعريف اليتيم، حيث أنها تتناول ظاهرة اليتيم في إفريقيا بشكل عام، سواء كانت الدول يشملها التعريف الإسلامي أو العالمي، وفي أحيان قد يتطابق تعريف اليتيم من منظور إسلامي مع التعريف العالمي في الدول التي ترتفع فيها نسب وفيات الآباء.

عوامل اضطراب ظاهرة اليتيم:

هناك مجموعة من العوامل التي تؤدي إلى اضطراب ظاهرة اليتيم في العالم، منها العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والصحية والعسكرية والطبيعية، وهذا على سبيل المثال لا الحصر، ودوماً

(١) لسان العرب، ص (٦٤٥-٦٤٦)، باب الياء/ جزء ١٢.

(٢) أخرجه ابن حبان في الصحيح، كتاب الوصايا، باب متى ينقطع اليتيم، رقم (٢٨٧٣)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٣١٨٠).

(٣) انظر: الموقع الإلكتروني لمنظمة اليونيسيف.

(٤) MATTHEW LE RICHE , MATTHEW ARNOLD. SOUTH SUDAN FROM REVOLUTION TO

٨- الإبادة الجماعية لمسلمي إفريقيا الوسطى، ٢٠١٢م حتى اليوم، خلفت أكثر من ٦٠٠٠ قتيل، وأكثر من مليون شخص ما بين نازح ولاجئ.

ثانياً: الحروب الإقليمية المبنية (١٩٨٩م-٢٠١٧م):

شهدت القارة الإفريقية، بالإضافة للحروب الأهلية، حروباً وصراعات مباشرة بين دول الجوار، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

١- الحرب الإثيوبية الإريتريّة (١٩٩٨م-٢٠٠٠م): دخلت فيها الدولتان بعد انفصال الأخيرة مباشرة بسبب الحدود، أسفرت عن قتل أكثر من ١٠٠ ألف، وتهجير مئات الآلاف^(٧).

٢- النزاع والصراع بين الكنفو مع دول الجوار كرواندا وبوروندي: تمّ إغلاق الحدود وقطع العلاقات الدبلوماسية مع رواندا وبوروندي ويوغندا^(٨).

تؤثر الحروب الأهلية والإقليمية من خلال انعدام الأمن والاستقرار؛ مما يقود إلى زيادة الوفيات وتشردّ ويتم الأطفال، كذلك في عمليات النزوح واللجوء يفقد كثير من الأطفال أسرهم، ويدخلون ضمن فاقدي الأبوين، وقد يتجاوز الأطفال مرحلة الطفولة دون أن يُقدّر لهم الالتحاق بأسرهم.

ثالثاً: أنماط تداول السلطة ونوع الأنظمة

السياسية الإفريقية:

تعتبر الطريقة التي يتم بها تداول السلطة السياسية مؤشراً من مؤشرات الاستقرار السياسي، بالنظر للقارة الإفريقية بشكل عام، نجد أنّ النمط الذي كان شائعاً لتداول السلطة في إفريقيا هو نمط الانقلابات العسكرية مع غياب أو تغييب للديمقراطية، مما يُسفر عن تزايد أنشطة جماعات الاعتراض السياسي، ويؤدي إلى عنف مضادٍّ من قبل السلطة، وتزايد أحداث العنف وغياب الأمن والاستقرار، بالإضافة إلى الممارسات

٢- الحرب الأهلية الأنغولية، ١٩٧٥م-٢٠٠٢م، نتج عنها تشرد حوالي ٤,٢٨ ملايين شخص^(١).

٣- الحرب الأهلية الصومالية، أواخر الثمانينيات حتى الآن، بلغت أعداد النازحين ١,٥ مليون نازح^(٢).

٤- حرب الكنفو الأولى والثانية، ١٩٩٦م-٢٠٠٣م، بلغ عدد النازحين ١,٩ مليون نازح^(٣).

٥- الحرب الأهلية في سيراليون، ١٩٩١م-٢٠٠٢م، نتج عنها سقوط أكثر من ٥٠,٠٠٠ قتيل^(٤).

٦- الحرب الأهلية في ليبيريا، ١٩٩٩م-٢٠٠٣م، أدت إلى مقتل أكثر من ٢٥٠ ألف^(٥).

٧- الحرب الأهلية بجنوب السودان، ٢٠١٢م حتى الآن، خلفت مئات القتلى وأكثر من ٢ ملايين نازح^(٦).

INDEPENDENCE a.2012 . COLUMBIA UNIVERSITY PRESS. NEW YORK b..P.16

(١) SCHERRER , CHIRSTIAN P. (2002) . GENOCIDE AND CRISIS IN CENTRAL AFRICA : CONFLICT ROOTS , MASS VIOLENCE , AND REGIONAL WAR. GREEN WOOD PRESS . P.335

(٢) علي حسن محمد، الأزمة الصومالية، مجلة دراسات استراتيجية، العدد (٤)، ١٩٩٥م، ص٧٨.

(٣) عبدالسلام إبراهيم البغدادى، الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليات في إفريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ص١٦١، انظر كذلك في: صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٢م، ص٢٥٣.

(٤) Abdullah, Ibrahim, (2004), Between Democracy and Terror: The Sierra Leone Civil War, Dakar: council for the Development of Social Science Research in Africa

انظر كذلك في: محمد عباس ناجي، سيراليون والاستقرار المفقود، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٩، القاهرة، يونيو ٢٠٠٠م، ص (١٧٨، ١٧٩).

(٥) نورا عبد القادر حسن، ليبيريا.. أزمة جديدة للدولة في إفريقيا، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٥٤، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٢١٠، انظر كذلك: مجلة السياسة الدولية، العدد ١٠٣، ص١١٨.

(٦) THE HISTORY GUY: ETHIOPIA – SOMALIA WARS AND CONFLICTS

(٧) الحرب الموريتانية السنغالية الحدودية، ويكيبيديا الموسوعة العلمية.

(٨) ريمون ماهر كامل، بورندي بعد انقلاب يوليو، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٧، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٣٩.

٥- عمليات تجنيد الأطفال: كما حدث في سيراليون، حيث جُنِدَ الأطفال لخوض المعارك، أو كما حدث بصورة قسرية عن طريق الخطف، كما حدث في أوغندا^(٤)، وأشار ستيورات في دراسته عن استخدام الأطفال في الجيوش الإفريقية إلى: أن (بوروندي والكنغو الديمقراطية وليبيريا ورواندا والسودان وأوغندا) أكثر الدول استخداماً للأطفال عبر التجنيد.

المحور الثاني: دور العامل الصحي في تفاقم ظاهرة اليتيم في إفريقيا:

يؤدي العامل الصحي دوراً مهماً في تحسين الحياة البشرية بشكل عام، والأطفال على وجه الخصوص، بيد أن ضعف وغياب العامل الصحي في كثير من الدول الإفريقية قاد إلى زيادة معدلات الوفيات، وبخاصة الأطفال وكبار السن، ويمكن القول بأن ضعف العامل الصحي وعدم توفر الخدمات الأساسية قاد، من ضمن عوامل أخرى، إلى تفاقم اليتيم لدى أطفال القارة السمراء لارتفاع عدد وفيات الآباء، ونورد فيما يلي ما يدل على ذلك مستمداً من تقارير التنمية البشرية للأعوام العشرة ونيف السابقة:

أولاً: مرض الإيدز ونسب انتشاره في الدول الإفريقية:

(٢٠٠٠م-٢٠٠١م): أشار تقرير البنك الدولي إلى أن الإيدز من أهم مصادر عدم الأمن في البلاد الإفريقية، ويفرض المرض ضغوطاً على الآليات التقليدية لرعاية الأيتام، وعلى أنظمة الرعاية الصحية، وفقدان العمالة المنتجة: مما يؤثر على المجتمعات والشعوب، وهناك أكثر من ٣٤ مليون شخص مصاب بالمرض، ٩٠٪ في

التي تلازم بعض الأنظمة السياسية الإفريقية، من قمع وتعذيب واعتقال وغيرها، لجهة لتأمين السلطة السياسية وأمن السلطة، كذلك من الملاحظ في الأنظمة السياسية الإفريقية دخول العامل العرقي في السياسة، والشاهد ما سبق ذكره من حروب عرقية وإبادة جماعية، تتم عبر استخدام الأنظمة السياسية، كمثال رواندا وبوروندي والكنغو، عمليات تسييس القبيلة. ما سبق يفيد أن: العامل السياسي يعد عاملاً رئيساً في تفاقم ظاهرة اليتيم، من خلال الآتي:

- ١- ضحايا الحروب الأهلية العرقية: قُدر ضحايا الإبادة الجماعية في رواندا بحوالي المليون^(١)، وبحسب تقرير الهيومن رايتس^(٢) ٨٠٠,٠٠٠.
- ٢- ضحايا الحروب البينية: كالحروب الحدودية التي انخرطت فيها دول القارة الإفريقية، وأثرت بشكل مباشر على شريحة الأطفال باليتيم والتشرد وغياب وتفكك الأسرة، عبر زيادة وفيات الآباء في الحروب، وما تخلّفه الحرب من دمار وأمراض وأوبئة وكوارث ومناظر عنيفة، وأحياناً إرغام الطفل على العنف، والتجنيد القسري لهم، كمثال الحروب في منطقة القرن الإفريقي: مما جعلها من أكثر دول العالم فقراً.
- ٣- ارتفاع نسب الوفيات: جرّاء تدهور الخدمات الأساسية: من صحة وعدم توفر الغذاء والماء.
- ٤- انعدام الأمن والاستقرار: وذلك عبر سيادة العنف السياسي عبر الاستخدام غير العادل للقوة من قبل أفراد لإلحاق الأذى بالآخرين^(٣)، كما هو حال الإبادة الجماعية في رواندا.

(١) نقلاً عن موقع الجزيرة الإلكتروني، بتاريخ ٩-١٢-٢٠٠١م، بعنوان مليون قتيل ضحايا الإبادة الجماعية في رواندا.

(٢) DES FORGES, ALISON (1999). LEAVE NO ONE TO TELL THE STORY: GENOCIDE IN RWANDA. HUMAN RIGHTS WATCH. ..JANUARY, 12, 2007

(٣) حسين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩م، ص٤٢.

UNITED NATIONS: OFFICE FOR THE (٤) COORDINATION OF HUMANITARIAN AFFAIRS (OCHA) INTEGRATED REGIONAL INFORMATION NETWORK, (IRIN), SPECIAL ..3-REPORT: CHILD SOLDIES P-P1 والتنمية في العالم ٢٠٠٠م-٢٠٠١م، شنّ هجوم على الفقر، البنك الدولي، واشنطن، ط١، ٢٠٠٠، ص١١.

موريتانيا ٧٥٠، إيرتريا ١،٠٠٠، رواندا ١،٠٠٠، غينيا ٥٢٠، زامبيا ٦٥٠، مالي ٥٨٠، سيراليون (٥) ١،٨٠٠.
٢- نسبة وفيات الأمهات عند النفاس، المبلغ عنها لكل ١٠٠،٠٠٠ (١٩٩٠م-٢٠٠٤م): بتسوانا ٢٣٠، جزر القمر ٥٢٠، السودان ٥٥٠، الكاميرون ٤٣٠، أوغندا ٥١٠، زيمبابوي ٧٠٠، موريتانيا ٧٥٠، إيرتريا ١،٠٠٠، رواندا (٦) ١،١٠٠.

٣- الوفيات لكل ١،٠٠٠ نسمة، العام ٢٠٠٨م، من الإناث والذكور: ناميبيا إناث ٢٩٠ وذكور ٢٥٦، جنوب إفريقيا إناث ٤٧٩ وذكور ٥٦٣، أوغندا إناث ٤٢٤ وذكور ٤٥١، أنغولا إناث ٣٨٣ وذكور ٤٦٠، زامبيا إناث ٤٩٨ وذكور ٥٣٨، موزمبيق إناث ٤٥٨ وذكور ٤٨٥، موريتانيا إناث ٢٦٢ وذكور (٧) ٣١٨.
٤- الوفيات لكل ١،٠٠٠ من البالغين، ٢٠٠٩م، من الإناث والذكور: منها: كينيا إناث ٢٨٢ وذكور ٣٥٨، أنغولا إناث ٣٥٣ وذكور ٣٧٧، نيجيريا إناث ٣٦٥ وذكور ٣٧٧، غينيا إناث ٣٢٧ وذكور ٤٧٤، موزمبيق إناث ٤٣٤ وذكور ٥٥٧، سيراليون إناث ٣٦٣ وذكور (٨) ٤١٤.

رابعاً: الإنفاق الصحي:

كنتاج للاقتصاديات الضعيفة والهشة التي يمتاز بها اقتصاد دول القارة الإفريقية، وكنتاج لعامل الحروب، يأتي الإنفاق العام الحكومي على الصحة بنسبة ضعيفة جداً لمعظم الدول الإفريقية التي تهتم بالإنفاق العسكري في المقام الأول، بالدرجة التي تعجز فيها الدول عن مكافحة جل الأمراض المستوطنة، كالمalaria والسل، ومؤخراً التهاب الكبد الوبائي.

البلدان النامية، حيث توفي ١٨ مليون شخص بوباء الإيدز^(١) في البلدان التي يتركز فيها الإيدز، كبتسوانا وزيمبابوي، حيث يعاني كل واحد من أربعة من الإصابة بهذا المرض، بالدرجة التي أصبح فيها أيتام الإيدز يشكلون عبئاً على آليات المساعدة بشقيها التقليدي والرسامي^(٢).

أما تقارير الأمم المتحدة للتنمية البشرية: فقد أوردت بعض الإحصائيات لمرض الإيدز في بعض الدول الإفريقية، بالنسبة المئوية للفئات العمرية من (١٥-٤٩):

ففي احصاءات ٢٠١٢م: بتسوانا إناث ٦،٧ والذكور ٣،٧، زيمبابوي إناث ٦،٢ وذكور ٣،٩، نيجيريا إناث ١،٢ وذكور ٠،٧، أنغولا إناث ١،٢ وذكور ٠،٦، جنوب إفريقيا إناث ١٣،٩ وذكور ٣،٩، ناميبيا إناث ٤،١ وذكور ٢،٢، موريتانيا إناث ٠،٢ وذكور (٣) ٠،١.

ثانياً: النسب المئوية للحوامل المصابات بفيروس الإيدز للعام ٢٠١١م:

وذلك دون تلقي العلاج للوقاية من انتقاله للطفل، منها: بتسوانا وناميبيا وجنوب إفريقيا ٥،٠، نيجيريا ٧٩،٠١، زيمبابوي ٣٨،٢، أنغولا ٧٦،٤، إثيوبيا ٧٢،٣، جيبوتي ٨٠،١، مالي ٥٧،٩، غينيا بيساو ٥٩،٥، غينيا ٤٤،٥، بوروندي ٢٨،٠، تشاد ٨٦،٠، جنوب السودان ٩٠،٠، موريتانيا ٩٥،٧^(٤).

ثالثاً: الوفيات:

١- معدل وفيات الأمومة (١٩٨٥م-٢٠٠٢م) لكل ١٠٠،٠٠٠ مولود حي، بحسب النسبة المبلغ عنها: في

(١) التنمية في العالم ٢٠٠٠م-٢٠٠١م، البنك الدولي، مصدر سابق، ص ١٢.

(٢) التنمية في العالم ٢٠٠٠م-٢٠٠١م، مصدر سابق، ص ٤.

(٣) تقرير الأمم المتحدة للعام ٢٠١٤، المضي في التقدم: بناء المنفعة لدرء المخاطر، صادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ص ١٨٣.

(٤) تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية للعام ٢٠١٤م، مصدر سابق، ص ١٨٣.

(٥) تقرير ٢٠٠٤م، مصدر سابق، ص ١٧١.

(٦) تقرير التنمية البشرية للعام ٢٠٠٦م، مصدر سابق، ص ٣١٥.

(٧) تقرير التنمية البشرية للعام ٢٠١٠م، مصدر سابق، ص ٢٠١.

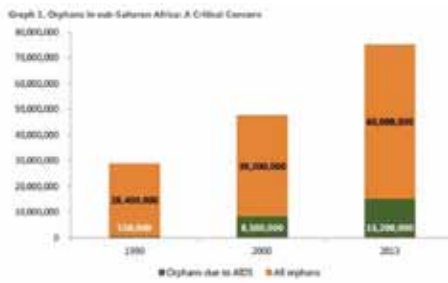
(٨) تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية للعام ٢٠١٣م، نهضة الجنوب: تقدم بشري في عالم متنوع، ص ١٧٩.

للفيروس من جهة أخرى، وكانت المحصلة لذلك هي اضطراب ظاهرة اليتيم في العام (٢٠١٥م-٢٠١٦م) في الدول الواردة كنماذج، كمثال نيجيريا هناك حوالي ١,٨٠٠,٠٠٠ يتيم في الفئة العمرية من (٠-١٧) بسبب الإيدز.

هذه الإحصائيات لارتفاع مصابات الإيدز في إفريقيا تكمن أهميتها في: أنها مؤشر مهم يمكن استخدامه في البعد الوقائي والعلاجي لأي ظاهرة من الظواهر؛ لأنّ الأمّ نصف المجتمع وتربّي النصف الآخر.

المحور الثالث: الأيتام في إفريقيا؛

ظاهرة اليتيم في القارة الإفريقية هي نتاج لعدة عوامل، أهمّها العامل الصحيّ وعامل النزاعات، وذلك بحسبان أنّ تأثير هذين العاملين في اضطراب الظاهرة أكثر وضوحاً من العوامل الأخرى، مما يمكننا من الافتراض بأنّ هذه الظاهرة في إفريقيا ظاهرة قديمة متجددة؛ لاستمرار النزاعات والحروب، واستمرار تردّي الوضع الصحيّ، وبحسب الوكالة الأمريكية للتنمية، وفق آخر الإحصاءات عام ٢٠١٣م، فقد بلغ عدد الأيتام في إفريقيا جنوب الصحراء حوالي ٦٠ مليون يتيم، منهم ١٥,٢ مليون يتيم بسبب الإيدز^(١)



المصدر: U.S. Agency for International Development - الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID).

(١) https://www.spring-nutrition.org/sites/default/files/publications/reports/spring_ovc_in_nigeria.pdf

ما سبق يفيد: أنّ العامل الصحيّ يؤدي دوراً مؤثراً في تفاقم ظاهرة اليتيم في القارة الإفريقية، وذلك من خلال الآتي:

١- استناداً على النسب والبيانات الموضحة آنفاً؛ نلاحظ بوضوح ارتفاع نسب الإصابة بمرض الإيدز بدرجة أكبر عند النساء؛ مما يعني ارتفاع درجات الوفيات جرّاء هذا المرض لانعدام الرعاية الصحية؛ مما يقود إلى زيادة أعداد الأيتام في القارة الإفريقية بشكل كبير؛ لأنّ النسب الموضّحة مخيفة.

٢- الوفيات في القارة الإفريقية جرّاء الإيدز أو الكوليرا أو الملاريا؛ في ظل انعدام الأمن والاستقرار ومؤسسات الرعاية الصحية القادرة على القيام بمهامها. ٣- جيل الأيتام من حاملي الإيدز، فمثلاً بتسوانا يرتفع فيها المرض بين النساء والشباب، و ٤٠٪ تكاد تكون نسبة تقشي المرض، هذه الظاهرة ينتج عنها جيل كامل من الأيتام الذين يحملون المرض.

على ضوء ذلك يمكننا الافتراض: أنّ اليتيم سينتشر في معظم دول القارة الإفريقية الواردة، كنماذج، بشكل كبير: (بتسوانا، زيمبابوي، نيجيريا، كينيا، يوغندا، رواندا، بوروندي...)، خاصّة عند مقارنة معدلات الوفيات للذكور والإناث، مضافاً إليها معدلات الإصابة بمرض الإيدز، مما يبنّى باضطراب الظاهرة لتصبح مشكلة دولية، فدولة مثل بتسوانا ارتفعت فيها نسب الإيدز بشكل كبير بين الإناث والبالغين والأمهات الحوامل، فهذا الوضع ينتج عنه بالضرورة زيادة مضطربة في اليتيم خلال العقد القادم، وتدلّ البيانات في (٢٠٠٨م-٢٠٠٩م) كذلك على الارتفاع الشديد في نسب وفيات الذكور (٤٣ طفلاً من كلّ ١٠٠٠)، كما هو وضع موريتانيا (٤٣ طفلاً من كلّ ١٠٠٠)، وما يقارب النصف كما في نيجيريا، وفوق النصف كزامبيا وجنوب إفريقيا وموزمبيق، مضافاً لذلك نسبة مصابي الإيدز من الحوامل للعام ٢٠١١م، قُدّرت في نيجيريا ٧٩,١ ٪، أنغولا ٧٦,٤ ٪، زامبيا ٧٢,٣ ٪، وتشاد ٨٦,٠ ٪، مما يعني زيادة نسبة وفيات الأمهات من جهة، وجيل حامل

نيجيريا: ١٢ مليون يتيم، حوالي مليون يتيم طفل كل سنة.

الكنغو: ما يُقدَّر بـ ٢,٤ ملايين يتيم.

إثيوبيا: ٩,٤ ملايين يتيم بسبب الإيدز.

المحور الرابع: ظاهرة اليتيم في إفريقيا بين الواقع والحلول:

ارتكازاً على ما سبق: يفيد الواقع الإفريقي بأن ظاهرة الحروب وعدم الاستقرار السياسي، مضافاً إليها تردي الوضع الصحي، هما الأسباب الرئيسة لاضطراد ظاهرة اليتيم في إفريقيا، وعليه إذا لم يُدرج ما سبق ضمن الحلول فلن يكون هناك طائل منها كحلول: لأنها ستكون مقيدة بالوضع السياسي والصحي.

ونورد بعض المقترحات كحلول تساعد على الحد من تنامي ظاهرة اليتيم:
أولاً: محاولة رأب الصدع في مناطق النزاعات، وبخاصة الأهلية منها.

ثانياً: عقد الوساطات بين الدول المتصارعة للحد من الحروب الإقليمية.

ثالثاً: التوعية المجتمعية بمخاطر بعض الأمراض: كالإيدز والكوليرا والتهاب الكبد الوبائي.

رابعاً: فتح المراكز التوعوية الشاملة للدعوة الدينية، خاصة في شمال غرب إفريقيا.

خامساً: على المنظمات الفاعلة في رعاية الأيتام عقد شراكات مع الأنظمة السياسية في ذلك؛ لتستفيد من تسهيلات الحكومة، وحتى تستطيع تكوين أداة ضغط مؤثرة في القرارات المتعلقة بالأيتام.

سادساً: فتح مراكز للكشف المبكر على الإيدز، ومراكز رعاية للحوامل المصابات بالمرض.

سابعاً: الاهتمام بعملية التربية مع الرعاية في دور رعاية الأيتام، مع تكريس الاهتمام بعملية الدمج الاجتماعي.

أعداد الأيتام في بعض الدول الإفريقية، وهي تقديرية، للفترة (٢٠٠٣-٢٠١٠م):

بحسب ما ورد في تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٣م، كآخر إحصائية لمعدل دخول مدارس الأيتام في سن (١٤-١٥)، من يتامى الأبوين الذين هم حالياً في المدارس، وتظهر كنسبة مئوية من نسبة الأيتام في العمر ذاته المقيمين مع أحد الأبوين ويذهبون إلى المدارس في الفترة (١٩٩٥م-٢٠٠١م)، الصومال ٦٥، بوروندي ٧٠، أنغولا ٩٠، بتسوانا ٩٩، نيجيريا ٨٧، رواندا ٨٠، بوروندي ٧٠، الكاميرون ٩٤، إفريقيا الوسطى ٩١، تشاد ٩٦، غينيا بيساو ١٠٣، ناميبيا ٩٢، النيجر ١٠٧، غينيا ١١٣.

هذه النسب الواردة للأيتام، وهي نسب مرتفعة، تؤكد أن العامل السياسي هو العامل الأكثر فاعلية، في تفاقم ظاهرة اليتيم؛ بالنظر إلى النسب المرتفعة للأيتام في الدول التي شهدت حروباً أهلية طاحنة، مثل رواندا وبوروندي والكنغو، هذه الحروب هي سبب مباشر لتدني المستوى الصحي وارتفاع الأمراض كالإيدز، مع غياب الوعي الصحي، وزيادة أعداد فاقد الأبوين.

أعداد الأيتام في بعض الدول الإفريقية، وهي تقديرية، للفترة منذ ٢٠١٠م:

جنوب إفريقيا: فقد ما يُقدَّر بحوالي ١,٤ مليون طفل دون سن الثامنة عشرة (أو حوالي ٨٪ من أطفال جنوب إفريقيا) أحد الوالدين أو كليهما بسبب مرض الإيدز^(١)، وبها حالياً ما يُقدَّر بـ ٣,٥ ملايين يتيم.

موزمبيق: قُدِّر عدد اليتامى بحوالي ١,٥ مليون طفل في عام ٢٠٠٨م، منهم ٥١٠,٠٠٠ تيتّموا بسبب مرض الإيدز^(٢).

(١) تقرير اليونسيف عن وضع الأطفال في العالم، الاحتفال بمرور ٢٠ عاماً على صدور اتفاقية حقوق الطفل، ص ١٤.

(٢) تقرير اليونسيف وضع الأطفال في العالم، مصدر سابق، ص ٦٩.

ثامناً: إنشاء المنظمات والمؤسسات الأهلية التي تسهم في رعاية الأيتام، لاحتواء الظاهرة. حيث أنّ تنامي أعداد الأيتام- كما ورد في بداية الورقة- يفرض ضغوطاً على آليات الرعاية التقليدية والرسمية والطوعية، ويتطلب مجهوداً يتخطى مقدّرات الدول التي تشمل أعلى نسبة من الأيتام.

خاتمة:

تناولت الورقة ظاهرة اليُتم في إفريقيا، ودراسة العوامل التي تؤدي إلى ازدياد الظاهرة، بالتركيز على العامل السياسي والعامل الصحيّ، وذلك بحسبان أنّ الأنظمة السياسية الإفريقية لا تدعم الاستقرار السياسي بقدر ما تدعم مستحاثات الصراع؛ كما وضع من الحروب والصراعات الإقليمية والأهلية التي دخلت فيها الدول الإفريقية منذ فجر تكوين الدولة الحديثة، وما قادت إليه الحروب من ارتفاع الوفيات كضحايا حرب وارتفاع عدد المفقودين؛ مما انسحب على شريحة الأطفال باليتم. أما العامل الصحيّ؛ فكان لزاماً الوقوف على الأمراض الخطرة على المجتمعات في ذاتها ولآثارها اللاحقة على المجتمع كالايدز.

هذان العاملان (السياسي والصحيّ) مع مجموعة عوامل أخرى، كالطبيعية والبيئة والاقتصادية، تؤدي إلى تفاقم ظاهرة اليُتم في القارة الإفريقية.

وعلى ضوء ما سبق: يمكن القول بأنّ الأنظمة السياسية الإفريقية هي التي تقوم بالدور الرئيس في زيادة الظواهر المتعلقة بالأطفال، كاليتم أو التجنيد أو الأعمال القسرية وغيرها، ومن جهة أخرى؛ فإنّ ضعف الإنفاق الصحيّ في الدول الإفريقية جعلها بؤرة للأمراض الخطرة؛ كالايدز والنهاب الكبد الوبائي والسل وغيرها.

ومن أهمّ النتائج التي توصلت إليها الورقة: أنّ ظاهرة اليُتم في إفريقيا رهينة بحالة الأنظمة السياسية ودرجة استقرارها السياسي، فكلما ساد

الاستقرار استقرت الأنظمة الصحية في الدول، وكلما زاد الصراع زادت درجة عدم الاستقرار، وانعدام الأمن، وانتشار الأمراض الفتاكة.

كذلك توصلت الورقة إلى: أنّ تنامي أعداد الأيتام في إفريقيا في الفترة (١٩٩٠م-٢٠١٠م) كان بسبب عاملي الحرب والمرض (الايدز)، حيث انغمست الدول في أتون الحروب الأهلية مخلفة ضحايا حرب وأيتام وأمراض؛ مما نتج عنه ارتفاع أعداد الأيتام في الألفية الحالية منذ (٢٠١٠م- إلى الآن)، فتزايد أعداد الأيتام ليس نبأ شاذاً؛ بل هو حصاد الحروب والأمراض ما قبل ٢٠١٠م.

ويمكن القول بأنّ الأيتام من حاملي مرض الايدز هم الجيل القادم للأيتام؛ جرّاء ارتفاع أعداد ونسبة العوامل المصابات بالمرض.

توصيات الورقة:

أ - مزيد من الدراسات حول الأيتام في إفريقيا، وتشخيص الظاهرة، وآليات المعالجة.

ب- تفعيل دور القيادات المجتمعية ومؤسسات المجتمع المدني، والمنظمات الدولية؛ للإسهام في معالجة الظاهرة والحد من آثارها السلبية.

ج - دراسة عن تكييف الأيتام في المجتمع وطبيعة السلوك الاجتماعي لهم، وبخاصّة الأيتام المصابون بالايدز.

د - وضع استراتيجية وقائية استباقية مستقبلية؛ من خلال واقع نسب الأمراض المميتة؛ كالايدز.

السيناريو المستقبلي:

استمرار الحلقة المفرغة للأيتام ما دامت الإثنيات في القارة الإفريقية قد تمّ تفكيكها على عدة دول، ولم يتمّ التوصل إلى حلول بشأنها، وما دام الإنفاق على الصحّة يلي الإنفاق العسكري، وتظلّ الدول الإفريقية قابعة في مربع تزايد أعداد الأيتام بدرجة أكبر من إمكانات الدول لمعالجتها ■